الفصل الثاني: وصف فرضيات النظرية.

- فرضيات النظرية.
- كشف العلامات الجغرافية.
- تصنيف العلامات الجغرافية.
- تفسير العلامات الجغرافية.
- أثر المؤلف.
- ملاحظات.

obeikandl.com

obeikandl.com

فرضيات النظرية

غالبية النظريات الأدبية التي ترتكز على تحليل النص الأدبي، لم تقدم لنا جدولة محكمة أو قالب محدد المعالم من الفرضيات، وإنما قدمت لنا فكرًا فضفاضًا، وأيديولوجيا فلسفية بحتة، لا تقيدها حدود ولا تضبطها بنود.

أما نظرية التحليل الجغرافي للأدب فقد جاءت بقالب محكم من الفرضيات، ولم تقدم لنا فرضياتها اعتباطًا، بشكل عشوائي وغير مرتب. ولوصف أكثر تفصيل يمكننا القول أن فرضيات نظرية التحليل الجغرافي جاءت على نحو رياضي تسلسلي مرتب. أي أنها جاءت على شكل خطوات تراتبية داخل عملية. لذلك فالناقد المطبق لفرضيات نظرية التحليل الجغرافي في نقده وتحليله لنصوص الأدب، يشعر أنه يطبق خطوات تراتبية منظمة ومتسلسلة، وأن هذه الخطوات في النهاية تقوده إلى إتمام عملية ما. وتلك العملية هي بالتأكيد، تحليل النص الأدبي تحليلًا جغرافيًا كاملًا متكاملًا.

فرضيات نظرية التحليل الجغرافي للأدب، قد تبدو للكثيرين كما ذكرنا على أنها خطوات، أكثر من كونها مجرد فرضيات. وعلينا أن نشير ها هنا إلى أن التطبيق الأمثل لفرضيات النظرية على النص الأدبي أيًا كان هذا النص، لا يتم إلا من خلال التطبيق الكامل لسائر الفرضيات، دون انتقائية أو إقصاء لأي من هذه الفرضيات. ليس هكذا فحسب بل وتطبيقها وفقًا لترتيبها وتسلسلها الرياضي داخل جدول الفرضيات.

صحيح أن محاولات النقد والتحليل التي لا تطبق فيها فرضيات النظرية وفقًا للتراتبية والتسلسل، هي محاولات غير مثالية وغير مكتملة. لكن ذلك لا يقلل كثيرًا من قيمة هذه المحاولات النقدية والتحليلية، ولا ينفي عنها صفة الانتماء إلى منهج نظرية التحليل الجغرافي للأدب.

بدافع الاختصار أو بدافع توفير الوقت والجهد والمساحة الورقية، قد يقوم الناقد المطبق للنظرية بتطبيق بعض فرضياتها دون البعض الآخر، أو قد يطبق الفرضيات في غير تسلسلها المنطقي وترتيبها الرياضي. هذا أمر طبيعي ومتوقع الحدوث، ولكن التطبيق الأمثل لفرضيات النظرية يبقى كما ذكرنا، من خلال تطبيقها كلها وليس بعضها، وتطبيقها وفقًا للترتيب والتسلسل الذي جاء به منهج النظرية.

إذ يبدو تسلسل فرضيات نظرية التحليل الجغرافي للأدب، على النحو التالي:

كشف العلامات الجغرافية

المدقق والمتأمل جيدًا في النصوص الأدبية بشتى أنواعها، وخصوصًا النصوص ذات البعد الجغرافي منها، يجد تلك النصوص ملئا بالعلامات الجغرافية. والعلامات الجغرافية هي التي سبق وأن أشرنا إليها في عدة مواضع سابقة على أنها معلومات، أو دلالات، أو مساهمات، أو مشاركات جغرافية.

العلامات الجغرافية تظهر في النصوص الأدبية قاطبة، على شكل نمطين أو نوعين لا ثالث لهما. وهذين النوعين أو النمطين هما:

١) المسميات.

٢) الأحداث.

وبالتالي فإن دور الناقد المطبق لنظرية التحليل الجغرافي في نقده وتحليله لنصوص الأدب، هو أن يبحث في ثنايا النصوص ودهاليزها عن العلامات الجغرافية، التي تتأتى لنا عبر هذين النوعين أو النمطين من العلامات.

أولًا: المسميات الجغرافية:

هذه المسميات توجد في النصوص الأدبية، وترد دومًا على هيئة أسماء علم، وتحمل بالطبع دلالات جغرافية واضحة. وتكون في الغالب أسماء قارات، أو محيطات، أو دول، أو صحاري، أو جبال، أو بحار، أو أنهار، أو بحيرات، أو مدن، أو قرى، أو أحياء، أو شوارع، وغير ذلك.

وقد تكون هذه المسميات عبارة عن مسميات مشتقة من مسميات أخرى. فعلى سبيل المثال مسمى (رجل أيرلندي) هو اشتقاق من المسمى الأصلي (أيرلندا). و(حيوان قطبي) هو مسمى مشتق من (القطب)، سواء أكان المقصود بذلك هو القطب الشمالي أم الجنوبي.

في سائر أعمال الأدب ونصوصه، ترد إلينا المسميات الجغرافية من خلال نوعين أو نمطين من المسميات لا ثالث لهما. إذ يمكن لنا الإشارة إليهما مدعمان بالأمثلة التوضيحية، على النحو التالي:

أ) الأماكن.

وهي الأماكن بمعناها المكاني والمساحي والجغرافي، مثل آسيا، والصحراء الكبرى، والمحيط الأطلسي، ورومانيا، ومكسيكو، ودنفر، وشارع عدلي، وغير ذلك.

الأماكن تمثل النوع الأصلي، الذي يشتق منه النوع الآخر من المسميات الجغرافية.

- **أمثلة توضيحية من نصوص الأدب على الأماكن.**

١) (الباسيفيك) ..... ورد في نص (أمير الذباب).

٢) (ساحل دوفر) ..... ورد في نص (الملك لير).

٣) (النمسا) ..... وردت في نص (الأسلحة والإنسان).

٤) (أوروبا) ..... وردت في نص (الأرض الخراب)[1].

٥) (جبال البحر الأحمر) ..... وردت في نص (موسم الهجرة إلى الشمال).

٦) (جنيف) ..... وردت في نص (فرانكنشتاين).

٧) (كوبنهاجن) ..... وردت في نص (رحلة إلى مركز الأرض).

٨) (ليتوانيا) ..... وردت في نص (ديبوك)[2].

٩) (مصر) ..... وردت في نص (الخيميائي).

ب) الصفات الجغرافية.

تظهر الصفات الجغرافية داخل مختلف أنواع نصوص الأدب على هيئة جنسيات. سواء جنسيات بشر، أو حيوانات، أو نباتات، أو بضائع، أو سلع، أو غيرها. على سبيل المثال، طفل أفريقي، سيدة بلجيكية، مزارع كولومبي، خبير هندي، حصان فرنسي، كتاب سلوفاكي، سيجار كوبي، زجاج صيني، موز كمبودي، وهكذا.

(1) أو الأرض اليباب.
(2) مسرحية للأديب الروسي أنسكي.

obeikandi.com

وفي أحيان أخرى، هذه الصفات قد تكون صفات معنوية وغير محسوسة أو ملموسة، كالإرادة الأفريقية، والترقب الفرنسي، والتخلف العربي، والتطور الياباني، والغرور الأمريكي، والنضال الفلسطيني.

كما تلاحظون من خلال الأمثلة المتعددة التي ذكرناها عن الصفات الجغرافية، فإن الصفات الجغرافية عمومًا تبدو كاشتقاقات مستمدة من النوع أو النمط الأصلي للمسميات الجغرافية (الأماكن). لأننا عندما نقول (رجل إنجليزي)، فإن صفة (إنجليزي) تكون مشتقة أساسًا من الاسم أو المسمى (إنجلترا)، وإنجلترا هي عبارة عن (مكان). وعندما نقول (شيكولاتة سويسرية)، فهذه الصفة مشتقة من المسمى (سويسرا)، والتي هي في النهاية عبارة عن (مكان). إذًا جميع الصفات الجغرافية هي أساسًا مشتقة من مسميات الأماكن.

- أمثلة توضيحية من نصوص الأدب على الصفات الجغرافية.

١) (الجيش النرويجي) ..... ورد في نص (مكبث).

٢) (رائحة أوروبية) ..... وردت في نص (موسم الهجرة إلى الشمال).

٣) (تنين ياباني) ..... ورد في نص (في ساعة نحس).

٤) (بحار فينيقي) ..... ورد في نص (الأرض الخراب).

٥) (نشيد عسكري بروسي) ..... ورد في نص (موسم الهجرة إلى الشمال).

٦) (أغنية مكسيكية) ..... وردت في نص (ليس في هذه القرية لصوص)[٣].

٧) (عطور العرب) ..... وردت في نص (مكبث).

(3) قصة قصيرة لجابرييل جارسيا ماركيز.

٨) (مومياء مصرية) ..... وردت في نص (جزيرة المرجان).

٩) (سفينة فرنسية) ..... وردت في نص (قلب الظلمات).

كما تلاحظون في معرض حديثنا عن (الأماكن)، ذكرنا أماكن جغرافية بعينها. فساحل دوفر، والباسيفيك، والنمسا، وأوروبا، وجبال البحر الأحمر، وغيرها. هذه جميعها أماكن جغرافية لها مكانتها ووجودها الحقيقي على الخرائط الجغرافية الرسمية، سواء السياسية أو الطبيعية منها. أما الأمثلة الأدبية التي ذكرناها في معرض شرحنا للصفات الجغرافية، فهي جميعها مشتقة من أسماء أو مسميات أماكن جغرافية. فالجيش النرويجي يعود إلى دولة النرويج، والبحار الفينيقي يعود إلى الفينيقيين (السكان التاريخيين لسواحل شرق البحر الأبيض المتوسط)، والتنين الياباني يعود إلى دولة اليابان، ورائحة أوروبية تعود إلى قارة أوروبا، ونشيد عسكري بروسي يعود إلى بروسيا (دولة قديمة كانت تشكل أجزاء كبيرة من ألمانيا المعاصرة)، وأغنية مكسيكية تعود إلى دولة المكسيك، وفي النهاية عطور العرب تعود بالتأكيد إلى العرب أو بلاد العرب.

إذًا فالأساس الذي يؤدي إلى تكون الصفات الجغرافية هو الأماكن، والأماكن هي في حد ذاتها عبارة عن أسماء أو مسميات. والأسماء من الناحية اللغوية كما تعلمون، هي الأساس الذي تبنى عليه الصفات.

ثانيًا: الأحداث الجغرافية:

العمل الأدبي أو النص الأدبي هو عبارة عن سلسلة من الأحداث المتتابعة والمتلاحقة. والعمل الأدبي أو النص الأدبي كما ذكرنا في بداية هذا الكتاب، هو عبارة عن مجموعة من الإسهامات والمشاركات التي تأتي من شتى صنوف العلوم والمعارف، لتنسج خيوط المادة الأدبية، والتي من خلالها يخلق ويتكون النص.

بما أن النص الأدبي هو عبارة عن سلسلة من الأحداث، وبما أن المادة الأدبية التي تتكون منها نصوص الأدب تعتمد كليًا على إسهامات العلوم والمعارف بأنواعها المختلفة، إذًا فإن أحد أحداث أو بعض أحداث نص أدبي معين، قد يغلب عليه أو عليها طابع وصبغة أحد العلوم والمعارف المشاركة في بناء الأدب. فخلال مطالعتنا لنص أدبي معين، قد نجد أحداث بداخل هذا النص ذات نزعة أو نكهة تاريخية، أو سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو فلسفية، أو دينية، أو جغرافية، أو غير ذلك.

المطلوب والمنشود ها هنا، هو الاهتمام بتلك الأحداث ذات النزعة الجغرافية أو الطابع الجغرافي الواضح. لذلك يتوجب على الناقد المطبق لفرضيات نظرية التحليل الجغرافي للأدب، أن يقرأ النص الأدبي المراد نقده وتحليله قراءة مستفيضة، ويتوجب عليه كذلك أن يقف عند سائر الأحداث الجغرافية الطابع والنزعة المتواجدة في ذلك النص. ولا يجوز البتة أن يمر الناقد على هكذا أحداث مرور الكرام. بل يتوجب عليه أن يستكشفها بعناية، وأن يتقصى مواطن وجودها داخل النص الأدبي بحرص شديد. وبعد ذلك يرجع له الأمر في كيفية التعاطي مع هذه الأحداث وذلك بحسب أسلوبه في النقد والتحليل، وبحسب تقديره لدرجة الاهتمام التي قد تتطلبها هذه الأحداث، كل منها على حدة، وكل منها حسب ظرفه الخاص. فقد يكتفي الناقد بقراءة بعض تلك الأحداث مجرد قراءة بعد أن يأخذ فائدته منها، وقد يحوط أو يظلل بقلمه جزءًا آخرًا منها، وقد ينقل شيئًا منها إلى كراسته و أوراقه، أو غير ذلك[1].الحدث الجغرافي قد يظهر داخل بنية النص الأدبي من خلال بضع كلمات، أو جملة، أو سطر، أو فقرة، وفي بعض الأحيان قد تمتد المساحة التي يظهر من خلالها هذا الحدث، لتصل إلى عدة فقرات أو صفحة كاملة. مهمة الناقد المطبق لفرضيات النظرية وكما ذكرنا من قبل، هي متابعة الأحداث الجغرافية ورصد مواطن وجودها داخل النص. وبالتأكيد فإن طريقة تعاطي الناقد مع الأحداث الجغرافية تختلف عن طريقة تعاطيه مع المسميات الجغرافية، وذلك من حيث

(1) يتفاوت اهتمام الناقد بالأحداث الجغرافية، وفقًا لمقدار ما تمثله هذه الأحداث من أهمية للناقد.

كيفية دراسة وتحليل تجليات هذين الجانبين المختلفين في نصوص الأدب، وسنتحدث عن هذا الأمر بشيء من التفصيل في قادم الصفحات.

الأحداث الجغرافية التي نجدها في مختلف أنواع نصوص الأدب، تكون في الغالب بشأن: وصف مكان ما من الناحية الجغرافية، عملية إبحار، جولة سياحية، تنقل وارتحال، أسفار غنية بالوصف والتوثيق الجغرافي، وصف مناخي وبيئي لمكان ما، طبوغرافيا، تضاريس، العرض الجغرافي Latitude، استكشاف جغرافي، نجو من سفينة غارقة والاهتداء إلى مكان منعزل Castaway، المغامرة الجغرافية، وغير ذلك.

- أمثلة توضيحية من نصوص الأدب على الأحداث الجغرافية:

فيما يلي تسعة أمثلة توضيحية، جئت بها من ثلاثة نصوص أدبية وهي: رواية أمير الذباب Lord of the flies للأديب الإنجليزي وليام جولدنج William Golding، ورواية جزيرة المرجان The Coral Island للأديب الاسكتلندي روبرت مايكل بالنتين R. M Ballantyne، ورواية روبنسون كروزو Robinson Crusoe للأديب الإنجليزي دانيال ديفو Daniel Defoe:

١) «علينا أن نتأكد إذا ما كانت هذه بالفعل جزيرة، يجب عليكم جميعًا أن تظلوا هنا ولا تغادروا هذا المكان. ثلاثة منا، إذا أخذنا أكثر من ثلاثة سوف نرتبك ونفقد بعضنا البعض، إذًا ثلاثة منا سوف يذهبون لاستكشاف الوضع.»[1].

٢) «قال جاك: هيا، نحن مستكشفون.

قال رالف: سوف نذهب عند نهاية الجزيرة، ونراقب من هناك، إذا ما كانت هذه بالفعل جزيرة.»[2].

(1) William Golding: Lord of The Flies - G. P. Putnam's Sons - New York 1954 - P 23.
(2) William Golding: Lord of The Flies - G. P. Putnam's Sons - New York 1954 - P 24.

٣) «قال جاك: هذا استكشاف حقيقي، أراهن أن أحدًا لم يكن هنا من قبل.

قال رالف: يجب علينا أن نرسم خارطة، لكن لا يوجد لدينا ورق.

قال سيمون: يمكننا أن ننقش خارطة على لحاء شجرة.»[٣].

٤) «لقد اتخذنا هذه الاحتياطات لأننا أردنا أن نقوم برحلة استكشافية إلى قمم الجبال الداخلية، وذلك كي نتمكن من مشاهدة ومعاينة الجزيرة بشكل أفضل.»[٤].

٥) «هي تتكون من جبلين اثنين، أحدهما يبلغ ارتفاعه بحسب تقديرنا نحو ٥٠٠ قدم، والآخر حيث نقف نحن ويبلغ ارتفاعه نحو ١٠٠٠قدم. بين هذين الجبلين يوجد وادي جميل ورائع كما سبق وأن ذكرنا. هذا الوادي يعبر الجزيرة من بدايتها حتى نهايتها، بحيث يكون مرتفع من منتصفه، وينحدر عند جانبيه أي كلما اقترب من الشاطئ.»[٥].

٦) «قطر مساحة الجزيرة يبلغ تقريبًا نحو عشرة أميال، إنها كانت تقريبًا دائرية الشكل، ومحيطها يبلغ نحو ثلاثين ميلًا أو ربما أكثر بقليل، وذلك إذا ما أخذنا في الاعتبار وجود الخلجان والانحناءات المنتشرة على طول الساحل.

كل الجزيرة كانت محزمة بشاطئ من الرمال البيضاء النقية، التي تغسلها الأمواج الرقيقة للبحيرات الساحلية. نحن أيضًا الآن نشاهد الحاجز الصخري المرجاني يلف الجزيرة ويطوقها من كل جانب، لكن المسافة الفاصلة بين ذلك الحاجز وساحل الجزيرة تختلف من مكان إلى آخر، ففي بعض الأماكن يبتعد الحاجز عن الساحل بمسافة ميل واحد تقريبًا، وفي أماكن أخرى، يبتعد بضع مئات من الياردات فقط، لكن المتوسط الإجمالي للمسافة الفاصلة بين الحاجز الصخري المرجاني وساحل الجزيرة يبلغ نحو نصف ميل تقريبًا.»[٦]

(3) William Golding: Lord of The Flies - G. P. Putnam's Sons - New York 1954 - P 25.

(4) Ballantyne R. M: The Coral Island - J. M. Dent & Sons - London 1967- P 38.

(5) Ballantyne R. M: The Coral Island - J. M. Dent & Sons - London 1967 - P 45 - 46.

(6) Ballantyne R. M: The Coral Island - J. M. Dent & Sons - London 1967 - P 46.

٧) «مهمتي القادمة هي أن أستكشف هذا البلد، وأن أبحث عن مكان مناسب فيه من أجل إقامتي، وكذلك أن أجد لمتاعي وأدواتي مكان آمن أضعها فيه. أين أنا ؟. لغاية اللحظة لا أعرف، لا أعرف سواء أكنت متواجدًا على أرض قارة أم جزيرة، سواء أكانت هذه الأرض مأهولة بالسكان أم غير مأهولة، سواء أيوجد بها خطر للحيوانات المفترسة أم لا يوجد.»[١].

٨) «بما أنني قمت من قبل برحلة إلى هذا الساحل، فإنني أعرف جيدًا أن جزر الكناري وجزر الرأس الأخضر جميعها تقع ليس ببعيد عن هذا الجزء من الساحل. لكنني لم أمتلك أي أدوات لتساعدني على تقدير موقعنا هذا من حيث دوائر العرض الجغرافية، ولم أتمكن كذلك من معرفة أو تذكر دوائر العرض التي تقع عندها بالضبط هذه الجزر، لم أعرف كيف أعثر على الجزر، ولم أعرف كيف أعثر على النقطة التي تقابلها أو توازيها من الساحل.»[٢]

٩) «قام الربان بإجراء ما يستطيع من ملاحظات واستكشافات، فوجد أنه كان تقريبًا عند دائرة العرض الحادية عشر شمالي خط الاستواء، لكنه اكتشف أيضًا أنه كان عند خط الطول الثاني والعشرين، إلى الغرب من رأس سانت أوغسطين، وكذلك اكتشف الربان أيضًا أنه كان فوق ساحل غويانا، أو الطرف الشمالي للبرازيل، أي وراء نهر الأمازون، وأمام نهر أورينوكو، الذي عادة ما يعرف بالنهر العظيم.»[٣]

تصنيف العلامات الجغرافية

يتوجب على الناقد المطبق لنظرية التحليل الجغرافي في نقده وتحليله لنصوص الأدب، أن يقف جيدًا عند سائر النصوص، وأن يصنف العلامات الجغرافية التي تتبدى له من خلالها إلى صنفين أو نوعين من العلامات.

(1) Daniel Defoe: Robinson Crusoe – Planet eBook – edition 2007 – P 67.
(2) Daniel Defoe: Robinson Crusoe – Planet eBook – edition 2007 – P 32.
(3) Daniel Defoe: Robinson Crusoe – Planet eBook – edition 2007 – P 52.

الصنف أو النوع الأول، يتمثل في العلامات الجغرافية التي تشكل جزء من حبكة النص الأدبي وبنيته الحقيقية. أما الصنف أو النوع الثاني، فهو يتمثل في العلامات الجغرافية التي يجري ذكرها والتطرق لها في النص فقط، أي لا تكون جزءًا حقيقيًا من حبكة النص وبنيته، وفي غيابها لا يتأثر النص ولا يتغير عن الصورة التي هو عليها في الأساس.

فعلى سبيل المثال، ورود المسمى الجغرافي (هنغاريا) في نص أدبي معين، لا يعني بالضرورة أن تكون أيًا من أحداث هذا النص قد وقعت في هنغاريا، كما أن ذلك لا يعني بالضرورة أن أيًا من شخصيات ذلك النص تحمل الجنسية الهنغارية أو تنحدر من أصول هنغارية.

وورود الحدث الجغرافي (عبرنا الأطلسي في ستة أيام ومررنا بجزر الأزور) في نص أدبي معين، لا يعني بالضرورة أن حبكة هذا النص وبنيته ومفهومه العام، قد كان لهم علاقة بالمحيط الأطلسي أو بجزر الأزور من حيث الأساس.

فمسمى (هنغاريا) ربما يكون قد ورد في العمل أو النص الأدبي لمجرد الذكر ليس أكثر، أي ربما تكون أحد شخصيات العمل الأدبي قد ذكرت هذا المسمى في إطار الحوار، أو ربما يكون الراوي قد ذكره في إطار السرد. لكن هذا المسمى وفي هكذا حالة، لا يمكن اعتباره على الإطلاق أنه من المحطات الجغرافية التي استضافت ولو الشيء القليل من أحداث العمل أو النص الأدبي.

وكذلك الحدث الجغرافي (عبرنا الأطلسي في ستة أيام ومررنا بجزر الأزور)، ربما يكون قد ورد في العمل أو النص الأدبي لمجرد الذكر ليس أكثر. فقد يكون هذا الحدث من حيث الأساس لا يمت بصلة لحبكة ومجريات أحداث العمل أو النص الأدبي. ولكن ربما يكون هذا الحدث الجغرافي قد ورد في إطار تطرق أحد الشخصيات أو الراوي، إلى تجربة خارجية أو ظاهرة خارجية، لا علاقة لها بمجريات وحبكة العمل أو النص الأدبي، من حيث الأساس.

- **لتوضيح الصورة بشكل أفضل، يمكننا تسمية الصنفين أو النوعين على النحو التالي:**

١) ما هو مؤثر.
٢) ما هو غير مؤثر.

العلامات المؤثرة هي التي يكون لها دور في نسج خيوط حبكة النص الأدبي، ويكون لها دور كذلك في تحديد ورسم مسار المجريات المحورية والرئيسية للنص. أما العلامات الغير مؤثرة فهي العلامات الجغرافية التي ترد في النص على هيئة الذكر فحسب، أي يجري ذكرها ضمن النص من أجل التطرق إلى تجربة خارجية أو ظاهرة خارجية لا تمت بصلة لحبكة النص، ولا تؤثر في حالة عدم وجودها، على مسار مجريات النص وأحداثه المحورية والأساسية.

تصنيف العلامات الجغرافية إلى ما هو مؤثر في حبكة النص ومجرياته الأساسية، وما هو غير مؤثر، يبدو مهمة سهلة في حالة التعاطي مع المسميات الجغرافية، عنه في الأحداث الجغرافية. فتصنيف المسميات الجغرافية إلى ما هو مؤثر وغير مؤثر يبدو أسهل من إجراء ذات التصنيف بالنسبة للأحداث الجغرافية، وذلك لبساطة المسميات الجغرافية عن الأحداث الجغرافية من الناحية اللغوية والتركيبية، وكذلك لأن الأحداث الجغرافية قلما تكون غير مؤثرة في مجريات وحبكة نصوص الأدب، على العكس من المسميات الجغرافية، والتي في كثير من النصوص وفي كثير من الأحيان تكون غير مؤثرة، لا في حبكة النص الذي ترد فيه ولا في بنيته ومسار مجرياته.

مما لا شك فيه أن نظرية التحليل الجغرافي للأدب تهتم بدراسة كلا الصنفين من العلامات الجغرافية، بغض النظر سواء أكانت علامات مؤثرة أم غير مؤثرة في حبكة وبنية ومجريات النص الذي تتواجد فيه هذه العلامات.

لذلك فالناقد المطبق لنظرية التحليل الجغرافي في نقده وتحليله لنص أدبي معين، مطالب بأن يصنف العلامات الجغرافية إلى الصنفين سالفي الذكر. بالتأكيد كلا الصنفين هامين ولازمين لمهمة النقد والتحليل التي يقوم بها الناقد. لكن ربما تكون العلامات المؤثرة على حبكة نصها وبنيته أكثر أهمية من العلامات الغير مؤثرة عند الكثير من النقاد الجغرافيين، وذلك كون هذه العلامات غالبًا ما تكون متجانسة مع غيرها من العلامات الجغرافية الأخرى في النص الذي توجد فيه، وليست كالعلامات الغير مؤثرة والتي تبدو غالبًا على أنها شاذة عن بقية العلامات الجغرافية المتآلفة والمنسجمة مع بعضها البعض في نصها الذي توجد فيه.لا توجد هناك ضوابط محددة تحكم أو تقيد تعامل الناقد الجغرافي مع كل من العلامات المؤثرة وغير المؤثرة في سياق نقده وتحليله للنص. بل تعود للناقد الجغرافي الحرية المطلقة في كيفية التعامل مع كلا النوعين أو الصنفين. وتعود له الحرية المطلقة بشأن اختيار النوع الذي يفضله على حساب النوع الآخر من حيث التركيز والدراسة. فهناك ناقد قد يفضل العلامات المؤثرة فحسب، كونها أكثر ارتباطًا والتصاقًا بالحبكة والمقصد العام للنص. وهناك ناقد قد يفضل العلامات المؤثرة لكن لا يتجاهل الغير مؤثرة. وهناك ناقد قد ينحاز إلى العلامات الجغرافية بأكملها، بدون الخوض في تصنيفاتها وتقسيماتها.

أنا شخصيًا أنحاز إلى كافة العلامات الجغرافية بشقيها المؤثر وغير المؤثر. فالعلامات المؤثرة لا أحد ينكر أهميتها، فهي التي تصبغ النص الأدبي بصبغتها ليصير (نصًا جغرافيًا). وفي المقابل لا يمكننا أن ننتقص من قدر العلامات الغير مؤثرة، صحيح أنها ليست ذات فعالية كفعالية العلامات المؤثرة، وصحيح أنها وحدها لا تجعل النص الأدبي الذي تتواجد فيه (نصًا جغرافيًا)، إلا أنها بتواجدها داخل النص الغير جغرافي قد تصل بذلك النص إلى درجة (المبالغة الجغرافية)، والتي عندها كما ذكرنا من قبل يصبح النص (سواء أكان جغرافيًا أم غير جغرافيًا) مناسبًا ومؤهلًا لتطبيق نظرية التحليل الجغرافي للأدب. فضلًا عن ذلك فإن تواجد العلامات الغير مؤثرة بجانب العلامات المؤثرة في نصوص الأدب (جغرافية النزعة والطابع) يزيد من القيمة والجمال الجغرافي لتلك النصوص.

أي إذا ما أنكر ناقد ما أهمية العلامات الغير مؤثرة، فإنه قد يضيع على نفسه فرصة نقد وتحليل الكثير من نصوص الأدب الملائمة والمؤهلة لتطبيق نظرية التحليل الجغرافي للأدب. لكن بغض النظر عن كل ذلك، يبقى الناقد الجغرافي ملزمًا بالتفريق ولو ضمنيًا وإيحائيًا، بين العلامات المؤثرة وغير المؤثرة، وذلك عند قيامه بأداء مهمة النقد أو التحليل الجغرافي لأي من نصوص الأدب.

تفسير العلامات الجغرافية

بغض النظر عن تعدد واختلاف أنواع العلامات الجغرافية، سواء أكانت مسميات أم أحداث، أو سواء كانت مؤثرة أم غير مؤثرة. يتوجب على الناقد المطبق لنظرية التحليل الجغرافي في نقده وتحليله لنص أدبي معين، أن يحلل ويفسر ويؤول العلامات الجغرافية التي يعثر عليها في ذلك النص. وإذا ما عدنا للقول السابق أن فرضيات نظرية التحليل الجغرافي للأدب هي فرضيات تراتبية وتسلسلية ذات نسق رياضي وليست فرضيات عشوائية. فإننا نقول بأن مهمة تفسير العلامات الجغرافية هي إجراء تالي ولاحق، يقوم به الناقد بعد قيامه بمهمته التمهيدية الأولى، ألا وهي مهمة رصد وكشف وإيجاد وتحديد العلامات الجغرافية التي يحتويها النص بين جنباته.

فمنطقيًا لا يمكن للناقد أن يفسر العلامات الجغرافية التي يحتويها النص، قبل أن يجدها أولًا ويحصر مواطن وجودها. وكي لا ننسى نكرر مرة أخرى أن مهمة تصنيف العلامات الجغرافية إلى شقيها المؤثر وغير المؤثر، هي أيضًا مهمة ضرورية من أجل إتمام وإنجاح عملية تحليل نص أدبي معين تحليلًا جغرافيًا متكاملًا.

المقصود بتفسير العلامات الجغرافية، هو الاجتهاد في قراءة وتأويل واستنطاق مكنونات وإيحاءات ودلالات ومعاني وانعكاسات هذه العلامات. فكل شيء في هذا الكون الواسع يعطي

دلالات وإيحاءات ومعاني أكبر من حجمه الذي يبدو عليه بكثير، وبلا شك فإن العلامات الجغرافية التي تحتويها نصوص الأدب المختلفة، تحتوي على الكثير من هذه الإيحاءات والمعاني والدلالات.

المقصود بتفسير العلامات الجغرافية هو تقديم الشروحات لهذه العلامات. والشرح دومًا يقدم تكبير وتضخيم وإضافة للمعنى الحقيقي الذي تبدو عليه العلامات، قبل خضوعها لعملية التفسير. ولعل أبرز مثال على طريقة العمل التي تقوم بها عملية الشرح أو التفسير تلك، هو العدسة المكبرة، التي تجعل لبذرة دوار الشمس حينما تحل تحت وطأتها، حجمًا أكبر بكثير من حجمها الحقيقي، فقد تجعل العدسة من حجم البذرة كحجم حبة الفول، أو كحجم الفراشة، أو حتى كحجم الفأر!.

إذًا العدسة المكبرة تقدم نموذجًا ومثالًا حقيقيًا، يتطابق مع ما تقوم به عملية التفسير التي يجريها الناقد على العلامات الجغرافية. العدسة المكبرة لا تضخم حجم بذرة دوار الشمس ليبلغ كحجم الفراشة أو الفأر، هكذا عبثًا أو بلا فائدة. بالتأكيد لا فتضخيم البذرة إلى هذه الأحجام الكبيرة يتيح للناظر أو المشاهد للعدسة، إمكانية رؤية التفاصيل الدقيقة وتباينات وتداخلات الألوان وتفاصيل درجات السطوع والإعتام الموجودة على قشرة البذرة. وكذلك الناقد أو القارئ لتفسير العلامات الجغرافية الخاصة بنص أدبي معين، يستطيع بفضل عملية التفسير تلك أن يقرأ ويدرك تفاصيل ودلالات وإيحاءات ومعاني خفية جديدة، غير متاحة لمن يقرأ ذات العلامات بلا تفسير.

التفسير الأمثل لعلامة جغرافية معينة يتمثل في الإتيان بأكبر قدر ممكن من التحليلات والقراءات والتأويلات لهذه العلامة، واستكشاف ما تحتويه من معاني خفية وإيحاءات ودلالات. ومن أجل الإتيان بأكبر قدر ممكن من التحليلات والقراءات والتأويلات، لا تجد عملية التفسير مفرًا ولا مناص من الولوج في عمليات الاستنتاج والافتراض. فالناقد الذي يقوم

بعملية التفسير ليس عليه أن ينتظر أن تتكشف له الدلالات والإيحاءات والمعاني المستترة التي تحملها العلامات الجغرافية، وهو مكتوف اليدين، بل يتوجب عليه أن يكون مبادرًا، وذلك من خلال عدم توانيه عن إتباع الطريقة المثلى التي ينبغي عليه كناقد أن يؤدي بها عمليتي الاستنتاج والافتراض. وتتمثل تلك الطريقة في قيامه بصياغة عدد من الأسئلة بشأن العلامة الجغرافية المراد تفسيرها. ونمط الأسئلة قد يكون على النحو التالي:

١) في أي موضع من النص جاءت هذه العلامة ؟.

٢) لماذا وجدت هذه العلامة تحديدًا في هذا النص؟.

٣) لماذا جاء المؤلف بهذه العلامة دون غيرها؟.

٤) ما هو قصد المؤلف من وراء إتيانه بهذه العلامة؟.

٥) ما هي الدلالات والإشارات التي تحملها في طياتها هذه العلامة؟. وغير ذلك الكثير من الأسئلة.

ينبغي على الناقد أن يضع أو أن يصيغ الأسئلة كي يجيب عليها بنفسه، لا ليجيب عليها أحد غيره. أما الإجابات التي يرد بها الناقد على نفسه، فهي في المحصلة النهائية تعتبر النتائج التي تفضي إليها عملية التفسير.

طريقة الأسئلة تبدو مناسبة وفعالة للتطبيق في حالة الأحداث الجغرافية أكثر منه في حالة المسميات الجغرافية. وهذا لا يعني البتة أن الطريقة لا تناسب حالة المسميات الجغرافية. ولكن من أجل التوضيح وتحاشيًا للبس وسوء الفهم، نقول أن هناك طريقة استنتاج وافتراض تتناسب وتتلاءم مع المسميات الجغرافية ربما أكثر من طريقة الأسئلة، ألا وهي طريقة الترميز **Symbolizing**.

طريقة أو أسلوب الترميز مشتق من الرمزية Symbolism، وهي تعني أولًا اعتبار الشيء كرمز، ومن ثم استنتاج وافتراض المعاني والدلالات التي قد يفضي إليها هذا الرمز.

ومن أجل التطبيق الأمثل لأسلوب أو طريقة الترميز في حالة تفسير المسميات الجغرافية، ينبغي على الناقد أن يعد ويعتبر كل مسمى جغرافي على أنه رمز، ومن ثم ينبغي على الناقد أن يستكشف ويستطلع إلى ماذا يرمز هذا الرمز، أي ما هي الدلالات والمعاني والإيحاءات التي يعطيها هذا الرمز ويفضي إليها.

فعلى سبيل المثال، إذا ما عثر ناقد في نص أدبي معين على مسمى جغرافي كدولة (مالي) مثلًا، فهنا وفي هكذا حالة ينبغي على الناقد أن يعتبر مالي على أنها رمز. وبما أن مالي قد أصبحت رمزًا، فمهمة الناقد التالية هي تحديد إلام ترمز مالي. وفي ذلك الشأن يبدأ الناقد في صياغة ووضع الافتراضات والاستنتاجات المختلفة. فبحسب افتراضات واستنتاجات الناقد، قد تكون رمزية مالي على النحو التالي:

١) مالي ترمز إلى الثقافة الأفريقية الصحراوية.

٢) مالي ترمز إلى التخلف والانغلاق الثقافي.

٣) مالي ترمز إلى القبلية والبدائية.

٤) مالي ترمز إلى الفقر ومشقة الحياة.

٥) مالي ترمز إلى الجفاف والحرارة المتقدة.

٦) مالي ترمز إلى الانحباس والحرمان من البحار والسواحل.

٧) مالي ترمز إلى ضحايا الاسترقاق والكولونيالية.

٨) مالي ترمز إلى التواضع والبساطة.

وفي نص أدبي آخر ربما يعثر الناقد على مسمى جغرافي مختلف، مثل (الشباب الأمريكي). أيضًا هنا وفي هكذا حالة ينبغي على الناقد أن يعتبر الشباب الأمريكي على أنه رمز. ومن ثم يبدأ الناقد في تصور وصياغة الافتراضات والاستنتاجات المختلفة من أجل كشف معالم رمزية هذا الرمز. وبحسب افتراضات واستنتاجات الناقد، قد تبدو رمزية الشباب الأمريكي على النحو التالي:

١) الشباب الأمريكي يرمز إلى التعددية الثقافية والعرقية.

٢) الشباب الأمريكي يرمز إلى الفعالية والديناميكية.

٣) الشباب الأمريكي يرمز إلى الانفتاح الثقافي والحداثة ومواكبة التطور.

٤) الشباب الأمريكي يرمز إلى الرفاهية والحالة الاقتصادية المريحة.

٥) الشباب الأمريكي يرمز إلى البحث العلمي والعلم والتقدم والإنتاجية.

٦) الشباب الأمريكي يرمز إلى ثقافة الكاوبوي وهوليوود.

٧) الشباب الأمريكي يرمز إلى الانحلال الأخلاقي وقلة الحياء.

كما تلاحظون فإنه من السهولة بمكان تطبيق طريقة الترميز في حالة المسميات الجغرافية، وذلك لكون المسميات الجغرافية محدودة الوجود والمساحة، أي كونها تتكون من كلمة أو كلمتين على أكثر تقدير. وبما أن المسمى الجغرافي يتكون من كلمة أو كلمتين، فلذا يسهل اعتبار ذلك المسمى كرمز. أما في حالة الأحداث الجغرافية فإنه من الصعوبة بمكان تطبيق طريقة الترميز، إذ يصعب اعتبار الحدث الجغرافي كرمز، وذلك لأن الحدث الجغرافي يتكون غالبًا من عدد كبير من الكلمات، أو حتى من الأسطر والفقرات.

لذلك فبإمكان الناقد أن يعتمد في تفسيره للمسميات الجغرافية على طريقتي الترميز والأسئلة. أما في حالة تفسيره للأحداث الجغرافية، فالمتاح والممكن للناقد هو أن يعتمد على طريقة الأسئلة، ربما فحسب.

بالإضافة إلى طريقتي الأسئلة والترميز، هناك الكثير من طرق التفكير والتحليل والاستنتاج والافتراض الأخرى. فمن الطبيعي أن يأتي غيري من المنظرين أو النقاد بطرق وأساليب جديدة تختلف عن التي جئت بها. كما أنني لا أجبر غيري من النقاد على إتباع أساليبي وطرائقي التي عبرت عنها في سالف السطور والصفحات، وتحديدًا في معرض شرحي لكيفية تفسير العلامات الجغرافية.

لا توجد هناك ضوابط أو معايير محددة، تلزم الناقد بإتباعها عند قيامه بإجراء عملية التفسير للعلامات الجغرافية. ولكن تعود للناقد الحرية المطلقة في اختيار الأساليب والطرائق التي تناسبه، كي يستخدمها عند إجرائه لعملية التفسير للعلامات الجغرافية.

أما الأساليب والطرائق التي ذكرتها بالتحديد، فتبقى بمثابة اقتراحات واجتهادات تعبر عن وجهة نظري ورؤيتي الخاصة، أقدمها للناقد الجغرافي وأنصحه بها، كي يأخذ بها ويحقق من خلال تطبيقها، تفسيرًا مثاليًا متكاملًا للعلامات الجغرافية المتواجدة في هذا النص أو ذاك.

أثر المؤلف

لا يمكننا أن نعتبر كل تحليل جغرافي لنص أدبي معين لا يأخذ بأثر المؤلف، على أنه تحليل جغرافي مغلوط أو خاطئ. فإذا أراد الناقد أن يركز كل اهتمامه في النص دون إعطاء أي قدر من الاهتمام بالمؤلف أو الكاتب. فهو مطلق الحرية في ذلك، ولرأيه كل التقدير والاحترام.

أما إن أردتم الحديث عن كيفية التحليل الجغرافي المثالي والمتكامل لنصوص الأدب، كيف يكون. فحينئذ لا بد من التأكيد على أن هكذا تحليل، لا بد وأن يشتمل على اهتمام كاف من قبل الناقد، بأثر المؤلف.

تطرق الناقد الجغرافي إلى أثر أو تأثير المؤلف أو الكاتب، يكون من خلال تسليطه الضوء على علاقة هذا المؤلف أو ذاك بالنص الذي كتبه، وأيضًا على مدى تأثر النص بأسلوب وشخصية المؤلف. تطرق الناقد الجغرافي إلى علاقة المؤلف بالنص الذي يكتبه ذلك المؤلف، يعد أمرًا في غاية الأهمية، خصوصًا وأن علاقة المؤلف بنصه في كثير من الأحيان وكثير من المواضع تتجاوز كونها علاقة كاتب بما كتب أو مؤلف بما ألف.

فنظرية التحليل الجغرافي تستهدف في الغالب نصوص الأدب الجغرافي وأدب الرحلات والروبنسونات، وغيرها من النصوص التي تحتوي أحداثها على مبالغة واضحة في السرد الجغرافي وذكر الأماكن، والمتمثلين بدورهما في العلامات الجغرافية بأنواعها وتصنيفاتها المختلفة. وكنتيجة طبيعية لتغطية نظرية التحليل الجغرافي لنصوص من هكذا أصناف وأنواع، فالمحلل لهكذا نصوص سيجد نفسه على إطلاع مستمر على أنشطة سفر، وارتحال، ومغامرة، واستكشاف. والمذهل حقًا أن المؤلف في كثير من هذه النصوص يتجاوز دوره كمؤلف وحسب، لكونه علاوة على ذلك إما بحارًا، أو مغامرًا، أو رحالة، أو مستكشف معايش للأحداث التي يكتبها عن كثب وتجربة.

إذًا في سائر النصوص الأدبية التي تصلح لتطبيق نظرية التحليل الجغرافي للأدب، تأخذ علاقة المؤلف بالنص نوعين أو شكلين من العلاقات:

١) مؤلف علاقته بالنص أنه مؤلف فحسب.

٢) مؤلف يتجاوز كونه مؤلف فحسب، لتواجده شخصيًا في مسرح الأحداث وفي مهدها الحقيقي، قبل أن تصير وتصاغ لاحقًا لتصبح نصًا أدبيًا، وذلك كونه بحارًا، أو تاجرًا، أو مستكشفًا، أو مغامرًا ونحو ذلك.

المؤلف من النوع الأول يعتمد في تأليفه وكتابته على ما يأخذه عن الآخرين من قصص وأحداث واقعية وحقيقية حدثت بالفعل، أو مما يمليه عليه ذهنه السارح في الخيال. أما المؤلف

المنتمي إلى النوع الثاني فهو يعتمد في تأليفه وكتابته على تجاربه الشخصية والتي يخوضها بنفسه. فكم من تاجر دون تفاصيل رحلته وسفره. وكم من بحار أو قبطان أو نحو ذلك، دون مشاهداته والقصص الواقعية التي خاضها بذاته وهو فوق السفينة أو في جسمها، ومن حوله المياه الزرقاء تنتشر على مد البصر. وكم من مغامر دون أحداث مغامراته الجنونية وما فيها من أحداث شيقة ومثيرة. وكم من مستكشف دون ملاحظاته واستنتاجاته المذهلة، حول الحضارات والثقافات الغريبة، والقبائل والشعوب النائية البعيدة...إذًا فالمادة الأدبية التي يستخدمها مؤلفي وكتاب النوع الأول، هي مادة مستعارة ومأخوذة عن الغير. أما مؤلفي وكتاب النوع الثاني فينتجون المادة الأدبية بأنفسهم، تمامًا كإنتاجهم للنص في مراحل متقدمة بعد ذلك.

وللحديث عن وصف آخر للفرق بين كلا النوعين من المؤلفين. يمكننا القول أن مؤلفي النوع الأول يكتبون عن الأشياء التي يسمعون عنها، أو يمليها عليهم خيالهم الإبداعي فقط. أما مؤلفي النوع الثاني فيكتبون عن الأشياء التي يدركونها بحضورهم الشخصي، ويرونها بأم أعينهم حين حدوثها. وبالتالي فإن علاقة مؤلفي النوع الثاني بنصوصهم تبدو أوثق وأقوى بكثير، من علاقة مؤلفي النوع الأول بنصوصهم.

مما لا شك فيه، أن فرصة الناقد الجغرافي في التطرق لأثر المؤلف تكون قوية وقوية جدًا، في حالة النصوص وثيقة وقوية الصلة بمؤلفيها (النوع الثاني من المؤلفين). وعلى العكس تمامًا من ذلك، في حالة النصوص التي لا يظهر لمؤلفيها أثر كبير فيها (النوع الأول من المؤلفين)، ففي هكذا نصوص لا يجد الناقد الجغرافي الشيء الكثير، ليقوله أو يكتبه عن أثر أو تأثير المؤلف.

لكن في كلا الناحيتين وفي كلا الحالتين، يظل الناقد الجغرافي مطالبًا بالتطرق عند تحليله لنصوص الأدب المختلفة إلى أثر المؤلف، لما لذلك من فائدة عظيمة تساعد الناقد على فهم الظواهر أو العلامات الجغرافية الواردة في النصوص المختلفة، وبالتالي تحليلها وتفسيرها على النحو الأمثل.

والناقد الجغرافي النشيط ، لا يكتفي بمتابعة أثر المؤلف في نصه المقصود بالتحليل الجغرافي فحسب، بل يطارد ذلك المؤلف إلى خارج النص، بحيث يسعى لأخذ فكرة عن نصوصه وأعماله الأدبية الأخرى، وقد يصل به الأمر إلى أن يمر على السيرة الذاتية لذلك المؤلف. فأخذ الناقد لفكرة عن نصوص وأعمال المؤلف والمرور على سيرته بشيء من الإطلاع والبحث، يساعدان الناقد بالتأكيد على فهم شخصية وأسلوب المؤلف عمومًا، وهذا في نهاية المطاف يساعد الناقد على فهم النص الذي يحلله تحليلًا جغرافيًا.

ملاحظات

بعد الشرح المفصل والدقيق الذي قدمناه للفرضيات الأربع التي تتكون منها نظرية التحليل الجغرافي للأدب. لا بد من توضيح بعض المسائل التي قد تسبب لبس أو سوء استيعاب عند الناقد أو المحلل الجغرافي، سواء عند فهمه لهذه الفرضيات، أو عند تطبيقه لها على نصوص الأدب المستهدفة بالنقد والتحليل.

ولأن فرضيات النظرية قد جاءت مبنية على بعضها البعض، في سلسلة تراتبية ورياضية، وجاءت لتتناول جزئيات دقيقة وعميقة في تكوينات النصوص الأدبية. فمن شأن كل هذا أن يحدث نوعًا من اللبس وسوء الفهم وبالتالي سوء التطبيق، عند النقاد الجغرافيين اللذين تفوتهم فرصة فهم فرضيات النظرية على النحو الأمثل.

لذلك وقبل مبارحة هذا الفصل إلى غيره من الفصول، كان لا بد من تعزيز الشروحات السابقة الخاصة بفرضيات النظرية بالعديد من الملاحظات التوضيحية. إذ تبدو الملاحظات على النحو التالي:

١) العلامات الجغرافية هي شتى أنواع البيانات أو المعلومات، التي تتجسد من خلالها معالم النفوذ الجغرافي والمساهمة الجغرافية في تكوين نص أدبي معين.

٢) فرضيات النظرية وفقًا لتسلسلها المنطقي وترتيبها الرياضي هي: كشف العلامات الجغرافية داخل النص الأدبي، ثم تصنيف هذه العلامات، ثم تفسيرها، ثم التطرق إلى أثر المؤلف من أجل تحقيق الفهم والتحليل الأمثل لهذه العلامات.

٣) التطبيق الأمثل لفرضيات نظرية التحليل الجغرافي يكون من خلال تطبيقها بالكلية، وتطبيقها وفقًا لتسلسلها الرياضي وترتيبها المنطقي، ففرضيات النظرية كما جرى الذكر من قبل، هي أقرب ما تكون إلى نمط الخطوات المرتبة منه إلى نمط الفرضيات العشوائية المبعثرة. ولكن ذلك لا يعني بالضرورة أن مخالفة هذه المعايير والقواعد يعد مخالفة لجوهر وروح النظرية. بالتأكيد لا فللناقد الأدبي الجغرافي كل الحق في التعاطي مع فرضيات النظرية وتطبيقها، بالشكل والأسلوب الذي يرغب به، ما دام ذلك لا يخرج عن الخطوط العريضة للنظرية، ولا يخالف مبادئها ورؤيتها العامة التي جاءت من أجلها.

علاوة على ذلك فإن واقع بعض النصوص الأدبية قد يفرض على الناقد الجغرافي مخالفة تراتبية وتسلسل وتكاملية فرضيات النظرية عند تطبيقه لها. ففي النصوص التي لا يكاد يلاحظ فيها أثر واضح للمؤلف، قد يجد الناقد نفسه مجبرًا على تجاهل التطرق لأثر المؤلف، عند تحليله لتلك النصوص. وأيضًا عند تحليل بعض النصوص الأدبية قد يشعر الناقد أحيانًا بالتثاقل حيال وجوب تفصيل أنواع العلامات، إلى ما هو مسمى جغرافي وما هو حدث جغرافي، وإلى ما هو مؤثر وما هو غير مؤثر. وذلك ما يدفع هكذا ناقد إلى تحليل النصوص الأدبية في غير التراتبية والتسلسلية والتكاملية المنشودة والمطلوبة.

٤) في بعض الأحيان قد يقف عامل توفير الوقت أو الجهد من قبل الناقد الجغرافي، حائلًا أو معيقًا في سبيل تطبيق الفرضيات بتراتبيتها وتكامليتها المنشودة، لكن لا بأس في ذلك ما دام الناقد متسقًا مع الرؤية والطرح العام للنظرية.

٥) للتفريق مرة أخرى بين كل من المسميات الجغرافية والأحداث الجغرافية. نقول أن المسميات الجغرافية تظهر في كافة أنواع نصوص الأدب بلا استثناء، وهي بارزة الحدود وواضحة الظهور داخل النص**Concrete Concept**. أما الأحداث الجغرافية فتظهر غالبًا في النصوص الجغرافية الطابع والنزعة بالتحديد، وليس من السهل رصدها وتحديد وجودها داخل النص كما المسميات، إذ تبدو غير واضحة الحدود، بحيث تكون بلا بدايات أو نهايات واضحة، فهي تنساب بين صفحات وسطور النص الأدبي بشكل مائع **Liquid Concept** ، لا يمكن الإمساك به بسهولة.

٦) من أجل توضيح الفرق مرة أخرى بين العلامات المؤثرة وغير المؤثرة، فلنتأمل المثال التالي:

((أحداث العمل الأدبي (س) تدور حول إبحار البطل (ص) من ساحل أنجولا إلى ساحل الأرجنتين. وكافة العلامات الجغرافية الواردة في هذا العمل أو النص الأدبي، تتعلق بتلك الرحلة التي قام بها البطل عبر الأطلسي من أنجولا وصولًا إلى الأرجنتين. لكن هناك علامة جغرافية واحدة وردت في العمل أو النص الأدبي بشأن قبرص، وأخرى بشأن الفلبين.

هنا حبكة هذا النص الأدبي ترتكز أساسًا على مسألة الارتحال والإبحار من أنجولا إلى الأرجنتين. لذلك فكل العلامات الجغرافية التي تتعلق بهذه الرحلة البحرية، تعتبر من جوهر النص وأساساته. وبالتالي فهي علامات مؤثرة، كونها تمس مسار الحبكة التي وجد من أجلها النص أو العمل الأدبي.

لكن في المقابل، إن حبكة هذا النص الأدبي ومجرياته الأساسية لا علاقة لها بقبرص ولا بالفلبين. لأن أيًا من أحداث النص لم تحدث فيهما، أو بجوارهما، وكذلك لم تنتمِ أي من شخصيات النص إليهما. فلم يزرهما البطل وليس لهما علاقة منطقية، أو جغرافية، أو مكانية برحلته من أنجولا إلى الأرجنتين. فالمسافر من أنجولا إلى الأرجنتين أو بالعكس، يستحيل

منطقيًا أن يمر بقبرص أو الفلبين. وإنما قد يكون البطل قد ذكرهما في هذا النص على سبيل الذكر فحسب. فعلى سبيل المثال ربما يكون البطل قد استرجع ذكرياته بشأنهما، فربما يكون قد وطأ سواحلهما بقدميه من قبل، أو ربما مر بجوارهما يومًا ما بسفينته، أو ربما يكون قد ذكرهما في سياق تطرقه إلى تجربة ما لزميل له في البحر، أو شيء آخر من هذا القبيل.

لذلك فغياب هاتين العلامتين الجغرافيتين (أي قبرص والفلبين) من حيث الأساس عن النص الأدبي، لا يؤثر إطلاقًا على المقصد العام للنص وحبكته[1]، وبالتالي فهكذا علامات نسميها علامات غير مؤثرة، وما سبق ذكره هو السبب في تسميتها بذلك)).

٧) تفسير العلامات الجغرافية، هي أكثر فرضيات نظرية التحليل الجغرافي للأدب تعبيرًا عن اسم وعنوان النظرية. فكلمتي تفسير وتحليل تعطيان نفس المعنى والمدلول تقريبًا. لذا ففرضية تفسير العلامات الجغرافية، تعد جوهر نظرية التحليل الجغرافي للأدب، وهي بمثابة الأساس والأصل فيها. أما دور الفرضيات الثلاث الأخرى، فهو التمهيد والتحضير والمساعدة لهذه الفرضية المركزية، والتي تعد الأكثر أهمية على صعيد النظرية ككل.

٨) للناقد الجغرافي[2] مطلق الحرية، في اختيار واستخدام الوسائل والطرق التي يرتئيها ويقتنع بها هو شخصيًا، عند قيامه بعملية التفسير للعلامات الجغرافية. لكن من أجل التيسير والتسهيل، أعيد الاقتراح الذي قدمته سابقًا. وهو أن طريقة الأسئلة هي الوسيلة أو الطريقة الأفضل، في حالة تفسير الأحداث الجغرافية. أما طريقة الترميز فهي الطريقة الأفضل، في حالة تفسير المسميات الجغرافية.

٩) الناقد الجغرافي الحاذق والمجتهد، هو الذي يتابع مؤلف النص المراد تحليله تحليلًا جغرافيًا، ليس داخل نصه فحسب، ولكن أيضًا خارج النص. وذلك من خلال الإطلاع والمرور على

(1) نفهم من ذلك أن الصبغة الجغرافية لنصوص الأدب (الجغرافية النزعة)، لا تتأثر في حالة عدم وجود العلامات غير المؤثرة، فالعلامات غير المؤثرة اسمها دال عليها. نعم هي بوجودها تثري النزعة الجغرافية للنص، لكن غيابها لا يؤثر بطبيعة الحال.

(2) أو الناقد الأدبي الجغرافي (كلتا الصيغتين صحيحتين).

السيرة الأدبية والإبداعية لهذا المؤلف، والإطلاع كذلك على أسلوبه، وعلى بعض النماذج من كتاباته ونصوصه الأخرى بقدر الإمكان.

١٠) ينبغي على الناقد الأدبي الجغرافي، أن يكون مطلعًا على الجغرافيا والمعلومات الجغرافية، بقدر لا يقل، أو لا يقل كثيرًا عن اطلاعه ودرايته في الأدب والمعلومات الأدبية. لذلك فالناقد الجغرافي النموذجي، هو الذي يطلع أثناء تحليله لنصوص الأدب المختلفة على الأطالس، وكتب الخرائط ، وكتب الجغرافيا. وذلك لكي يتعرف بدقة على ماهية وطبيعة وتفاصيل العلامات الجغرافية الواردة في النصوص التي يقوم بتحليلها، وكي يبني على ذلك ويصيغ تحليلات جغرافية صحيحة ودقيقة، لا تتعارض مع قواعد ومعلومات الجغرافيا كعلم.

إذًا فالناقد الجغرافي مطالب بالتثقف باستمرار في مجال الجغرافيا ومعلوماتها. ومطالب كذلك بالعودة إلى الأطالس، وكتب الخرائط، وكتب الجغرافيا المتخصصة، كلما دعت الحاجة إلى ذلك، أو كلما أراد التحقق والتعرف أكثر عما بين يديه من معلومات أو علامات جغرافية، ترد داخل النص الذي يقوم على تحليله.

١١) إطلاع الناقد الجغرافي على الأطالس، وكتب الخرائط، وكتب الجغرافيا، ورجوعه إليها باستمرار، يمكنه بسهولة من التفريق بين العلامات الجغرافية الحقيقية، والعلامات الجغرافية الخيالية التصورية. فعلى سبيل المثال، إذا رجع الناقد إلى الأطالس والكتب سالفة الذكر، ليبحث بداخلها عن علامة جغرافية مثل ليليبوت **Lilliput**، التي وردت في رواية رحلات غلفر **Gulliver's Travels**، فإنه سوف يجد أنها علامة لا وجود لها في الجغرافيا الحقيقية إطلاقًا، وإنما هي علامة جغرافية خيالية تمامًا، لا تمت للواقع بصله. وفي المقابل إذا ما رجع الناقد إلى الأطالس والكتب ليبحث بداخلها عن علامة جغرافية مثل قسنطينة، التي وردت في رواية ذاكرة الجسد، فإنه سوف يجد أنها علامة حقيقية، ولها وجود فعلي ومثبت في الأطالس وكتب الجغرافيا المختلفة.

١٢) الناقد الأدبي الجغرافي الملم جيدًا بعلم الجغرافيا والمعلومات الجغرافية، يكون مؤهلًا وبشكل كبير لتدقيق المعلومات أو العلامات الجغرافية الواردة في النص الماثل أمامه. أي باستطاعة هكذا ناقد أن يكشف وأن يرصد المواضع، التي قد يقدم فيها المؤلف معلومات جغرافية خاطئة ومغلوطة.

نعم، المؤلف قد يقدم في نص ما، معلومة جغرافية خاطئة ومجانبة تمامًا للصواب، ودور الناقد الجغرافي ها هنا هو ألا يقف متفرجًا، وإنما أن يبين تلك المعلومة الخاطئة وأن يصححها، وذلك في إطار تقديمه للتحليل الجغرافي للنص الذي توجد به هذه المعلومة أو العلامة.

من أبرز الأمثلة الدالة على قيام المؤلف بتقديم علامات أو معلومات جغرافية خاطئة في أحد نصوصه، هو ما قام به وليام شكسبير **William Shakespeare**، عندما قدم بوهيميا[1] في مسرحيته حكاية الشتاء **Winter's Tale** على أنها دولة ساحلية. بينما هي في الحقيقة تعتبر دولة حبيسة، بعيدة كل البعد عن أقرب البحار إليها، ليس لها أية سواحل، تقع في قلب أوروبا، واليابسة تحفها من كل جانب.

(1) دولة قديمة كانت تقع في قلب أوروبا، وفي عصرنا هذا قامت على أنقاضها، ما تعرف اليوم بجمهورية التشيك.

obeikandl.com